وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم

فضيلة الشيخ الدكتور
سعيد عبد العظيم
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دار القمة
للتوزيع الكتاب والتوزيع والنشر
دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
الإسكندرية ٥٤٥٣٢٦٩

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ربَّنا تقبَّلْ منَّا
إنَّكَ أنتَ السَّميعُ العَليمُ

محفوظة
جميع الحقوق

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ٥٤٥٧٧٦٩

رقم الإيداع ٥٠٨٠ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولي
977-331-273-9

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع جليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

obeikandl.com

وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فالأمور التي نكرهها كثيرة وعديدة، ولو دققنا النظر فيها، وتدبّرنا عواقبها لوجدنا الخير والبركة غالبة على ما تكرهه النفوس والطباع، وذلك لأنَّ قضاء الله لعباده المؤمنين كله رحمة، وهو سبحانه اللطيف لما يشاء، كما أنه جلَّ وعلا البر الرحيم الودود، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وبالتالي فعلينا أن نتأمل ونُسبر أغوار المسائل؛ حتَّى

obeikandl.com

لا نيأس من روح الله، وتطمئن قلوبنا بوعده سبحانه، ولا يبعد أن نصل إلى درجة الرضى والانشراح لعلمنا ويقيننا بما ستتمخض عنه الأمور المكروهة لنا.

نحن نكره الظلم الذي يقع على المسلمين هنا وهنا، وقد لا نستطيع دفعه ولا رفعه، وهذا يترتب عليه مرارة وألم لنفوسنا، عندما نرى العجز عن نصرة إخوان لنا في العقيدة، مسحوقين مقهورين، شيوخ رُكّع، وأطفال رُضّع، ونساء مغلوبات يستصرخن ... ومع ضعفنا وقلّة حيلتنا لا ينبغي أن ننسى أنَّ الظلم مردود على من ظلم، وأنَّ حلم الله على الظالمين يُحل المظلومين أعلى عليّين، وأنَّ دعوات المظلومين مستجابة، تُرفع دون الغمام، ويقول سبحانه: «**وعزّتي وجلالي لأُجيبنك ولو بعد حين**»، وأنَّ المظالم والحقوق إن لم تستوفَ في الدنيا، فهي الحسنات والسيّئات يوم القيامة، ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ**﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ويكفي المظلومين ولاية الله ونصرته لهم ولو بعد حين ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٣].

إنَّ الظلم ظلمات، والظالم يدمر نفسه، وشواهد ذلك كثيرة في حياة الأفراد والأمم .

نكره قتل المسلمين، وانتهاك حرماتهم، حتَّى أصبحت دماء المسلمين مُهدرة، لا تتحرك لها منظمة دولية ولا محلية، ولكن لا هوان بها على الله، حتَّى وإن هانت على الخلق، فلَزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم، وهذا المسلم الذي يُقتل نحتسبه شهيداً عند الله، وبينما يُعاني الميت على فراشه من سكرات الموت، والتي هي أشبه بتقطيع السكاكين، فإنَّ الشهيد لا يجد من ألم الموت إلاَّ كما يجد أحدكم من ألم القرصة.

وللشهيد عند الله ستّ خصال، يُغفر له في أول دفعة من دمه، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر، ويُحلي حلية الإيمان، ويُزوّج من الحور العين، ويشفع في

سبعين إنسانًا من أقاربه، وأرواح الشهداء في حواصل طير خضر، تسرح من الجنَّة حيث شاءت، فهنيئًا لهم ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠)** ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

إنَّ الشهيد يموت بأجله، وشتَّان بينه وبين من يموت كما تموت العير، فلا نامت أعين الجبناء، لقد قُتل صاحب يس، فنصح قومه ميتًا كما نصحهم حيًا، وقال: ﴿ **يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧)** ﴾ [يس: ٢٦، ٢٧].

وهان القوم على ربهم، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ (٢٨) إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩)** ﴾ [يس: ٢٨، ٢٩].

وقُتل عبد الله الغلام المذكور في قصّة أصحاب الأخدود، ووجدوه زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على النحو

الذي مات عليه ويده على صدغه، كلما أزاحوا اليد انبثق الدم من جرحه، وذلك بعد مئات السنين من مصرعه.

ولما انتقل شهداء أُحُد إلى ربهم، ورأوا ما أعده سبحانه لمن يُقتل في سبيله، قالوا من يبلغ عنَّا قومنا أنَّا لقينا ربنا، فرضي الله عنَّا ورضينا عنه، فكان هذا البلاغ الربَّاني ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠)** ﴾.

نكره أن نكون مستضعفين كاليتيم على موائد اللئام، يتلاعب بنا الكفرة تلاعُب الصبيان بالكرة، وهي حال تنفع من الله بمكان، لو تحققنا بمعاني الإيمان، قال تعالى: ﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦)** ﴾ [القصص: ٥، ٦]، لما أخذوا برأس الأمر جعلهم سبحانه رؤوسًا، أي لما أخذوا

بالصبر وباليقين، جعلهم أئمة في الأرض، وقال أيضًا: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧)﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤)﴾ [السجدة: ٢٤].

وقال سبحانه عن غزوة بدر: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣)﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وقال: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٦)﴾ [الأنفال: ٢٦].

إنَّ النصرَ يتحقق بعد الاستضعاف، وذلك لأنَّ القلوب تتعلق بربها وحده، وتتوكل عليه بعد أن استفرغت الوسع في الأخذ بالأسباب، وتوقن حينئذ أنّ النصر من عند الله، وأنَّ الأمر كله بيد الله، فلا ملجأ ولا منجى منه إلاَّ إليه.

نكره الفقر، وما تخوّفه النَّبيّ ﷺ علينا، بل تخوَّف أن تُبسط علينا الدنيا كما بُسطت على من قبلنا فتنافسها كما تنافسها من قبلنا، فتُهلكنا كما أهلكتهم ﴿كَلَّآ إِنَّ الْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ اسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾ [العلق: ٦ – ٨].

فالفقر تتواضع به النفوس، وتلتزم به حدود الأدب، وتمتنع به من الطغيان المدمّر، كطغيان فرعون وقارون، وفقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء إلى الجنة، والعبد قد لا ينصلح إيمانه إلاَّ بالفقر كما رويَ في الخبر: «**إنَّ من عبادي من لا يصلح إيمانه إلاَّ الصحة، ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإنَّ من عبادي من لا يصلح إيمانه إلاَّ بالسقم، ولو أصححته لأفسده ذلك، وإنَّ من عبادي من لا يصلح إيمانه إلاَّ الغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإنَّ من عبادي من لا يصلح إيمانه إلاَّ الفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإنَّ العبد ليهم بالتجارة أو الإمارة فأصرفه عنها، فيقول: شتمني فلان، منعني فلان، وما هي إلاَّ رحمة الله به، إني أُدبّر أمر عبادي بعلمي بما في قلوبهم، إني عليم حكيم**».

العبد تنزل به المصيبة فيكرهها وهي لا تخلو من ثلاث نعم، أنها لم تكن بأكبر مما كانت، وأنَّها لابد كائنة وقد كانت،، وأنها لم تكن في دينه.

وفي الحديث: «**من يتصبر يصبره الله، وما أُعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر**» فالمصيبة مع الصبر تنقلب نعمة ﴿**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)**﴾

[البقرة: ١٥٥– ١٥٧].

فلا داعي للانهيار والاكتئاب، ولا داعي للطم الخدود وشق الجيوب، ولا داعي لتسخط القدر... بل صبر جميل، ولربما استخار العبد ربه، في الصفقة التجارية والسفر والزواج، ويفشل في ذلك، فيتسخّط ويتكره ويتشكك في جدوى الاستخارة، ولو تريّث لوجد خيراً.

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «إنَّ العبد ليستخير الله فيختار له، فلو نظر في العاقبة لوجد أنه خير له».

قد نتكره إقامة الحدود الشرعية، وهي كفَّارة لأهلها وروادع وزواجر وجوابر، ينصلح بها حال الفرد والمجتمع لا يقوم السجن مقامها ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** (١٧٩) ﴾ [البقرة: ١٧٩]، والله يعلم وأنتم لا تعلمون، إنَّ شرع الله هو رحمته سبحانه بالخلق والعباد، وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم، ككراهة ما في الجهاد من المشقة، وهو خير لكم في أنَّكم تغلبون، وتظفرون وتغنمون وتُؤجرون، ومن مات مات شهيداً، و عسى أن تُحبوا الراحة والدعة، وترك القتال وهو شرٌ لكم في أنكم تُغلبون وتُذلون، ويذهب أمركم .

كما حدث في بلاد الأندلس، تركوا الجهاد، وجبنوا عن القتال، وأكثروا من الفرار، فاستولى العدو على البلاد، وأيّ بلاد وأسر وقتل وسبى واسترق، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ذلك بما قدَّمت أيدينا وكسبته، ولذلك قال الحسن : لا تكرهوا المُلمات الواقعة، فلرُب أمر تكرهه فيه نجاتك، ولرُبَّ أمرٍ تُحبه فيه عطبك.

وقال تعالى: ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾** ﴾ [النساء: ١٩]، فقد يرزقه الله منها أولادًا صالحين، ومع كراهته لها يُمسكها لرعايتها لبيتها وأولادها واستقامتها وصفاء روحها مع دمامة خلقتها، ويتمخض ذلك عن خيرات وبركات لم تكن في الحسبان، وفي الحديث: «**لا يُفرك مؤمن مؤمنة إنْ كره منها خُلُقًا رضي منها آخر**» [رواه مسلم]، فيغفر سيئتها لحسنتها ويتغاضى عما يكره لما يحب.

لابد من قراءة السُّنن والسير قراءة واعية؛ حتَّى لا تختلط علينا المعايير وتنقلب الحقائق والموازين، لقد تعرَّض نبيّ الله يوسف عليه السلام لابتلاءات عديدة تتكرهها النفوس، وكانت في واقع الأمر وحقيقته منحة في صورة المحنة، فقد آل أمره إلى المُلك، وكانت عاقبته إلى إحسان وخير، تمكَّن من إخوته فعفا وصفح عنهم ﴿ **وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي**

حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠] إنه من يتق ويصبر فإنَّ الله لا يضيع أجر المحسنين.

أبرم النَّبيّ ﷺ مع سهيل بن عمرو صلح الحديبية، ورآه البعض مُجحفًا وبمثابة إعطاء الدَّنية في الدين، وقد نزل بشأنه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح]، والأمور كلها على ما عند الله، وقد دخل بعد هذا الصلح في الإسلام عشرة أضعاف الذين دخلوا فيه قبل ذلك، بل سعت قريش في نقض الصلح الذي رأوه مكسبًا لهم، وربك سبحانه لا يضيع أولياءه.

حدثت قصة الإفك، ونزل بشأنها آيات سورة النور، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١]، لقد نزلت براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من فوق سبع سموات وتضمنت الآيات أحكام كثيرة، وهي بعض بركات أهل البيت رضي الله عنهم.

وأُمرت أم موسى أن تضعه في التابوت وتقذفه في

البحر، فامتثلت، رغم كراهة نفس الأم لفقدان ولدها، وانظر لبشارة الله لها، والخير الذي حدث من وراء ذلك ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص: ٧]، وقد كان، فقد تحقق الوعد الصادق.

لقد تعرض الإمام أحمد وأبو حنيفة ومالك وابن تيمية... للضرب والحبس والأذى، فصاروا نجومًا يُقتدى بهم، وتحققت الإمامة في الدين، وانزوى واندرس أمر من خالفهم، والعبرة بمن يضحك آخرًا، لا بمن يضحك أولاً.

وما قام عبدٌ لله مقام ذل إلاَّ وأقامه الله مقام عز، فلا داعي لعشى البصيرة، فالمذلة تكرهها النفوس الأبية، فإذا كانت في سبيل الله أورثت عزًا حقيقيًا، فقد أُوذي بلال رضي الله عنه وأُهين في ذات الله، وهو هو الذي نادى في المشركين بنداء التوحيد، وأذَّن على سطح الكعبة عام الفتح.

وأُوذي النَّبيّ ﷺ وما أُوذي أحد، ومات ﷺ يوم مات وهو سيد الأولين والآخرين، يقول ابن تيمية: «إذا أراد الله

إظهار دينه أقام له من يعارضه، فيحق الله الحق بكلماته، ويقذف بالحق على الباطل، فيدمغه فإذا هو زاهق.

فكن مسلمًا، وقِفْ على أرضية الواقع، وإذا كان الإنسان يزيل ما يؤلمه ويخاف منه، كقطع عضو وقلع ضرس، وفصد وحجامة.... طلبًا للصحة والسلامة، فلا تلتفت لصدٍ أو تنصير، أو لكثرة الملحدين والكافرين، فالأمر سيمضي إلى غايته، وربك يُؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم، وامتثلْ لأمر ربك، حتَّى وإن وجدت مشقة أو معاناة، فكل ذلك يهون إذا عُرف الثواب، ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم: ٦٠].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

صدر حديثا من سلسلة

معا على طريق الجنة

■ من يكون لهذه الصفقة؟	الشيخ/ سعيد السواح
■ ماذا تعرف عن العلمانية؟	الشيخ/ سعيد عبد العظيم
■ من تزوجه ابنتك؟	الشيخ/ سعيد السواح
■ التحزب	الشيخ/ سعيد عبد العظيم
■ اختبر رجولتك	الشيخ/ سعيد السواح
■ نهاية العالم خلال ٥٠ عامًا	الشيخ/ سعيد عبد العظيم
■ كن ولا تكن	الشيخ/ سعيد السواح
■ الناس والصيف	الشيخ/ سعيد عبد العظيم
■ إلى راغبي المال والجمال	الشيخ/ سعيد السواح
■ تقلب الزمان بأهله	الشيخ/ سعيد عبد العظيم
■ اختر ناك حكمًا	الشيخ/ سعيد السواح
■ المؤمن كالنخلة	الشيخ/ سعيد عبد العظيم

obeikandl.com